

قناع الحلاج في الشعر العربي المعاصر (صلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي نموذجاً)

كبرى روشنفكر^١، سيدة أكرم رخشدهنيا^٢

تاريخ الوصول: ١٤٢٩/٨/٢٥

تاريخ القبول: ١٤٣٠/٩/٤

القناع وسيلة فنية لجأ إليها الشعراء في الشعر العربي المعاصر منذ ستينيات القرن العشرين. الشاعر المعاصر من خلال أقدسة الشخصيات الدينية والتاريخية والصوفية والأسطورية... يتكلم عن نفسه وبيئته على لسان تلك الشخصيات المختلفة. من الشخصيات الفارسية التي تقنع به الشعراء العرب المعاصرون، منصور الحلاج الذي صلب بتهمة الزندقة.

إن الحلاج في دواوين الشعراء المختلفة هو رمز الحرية والكفاح والشهيد من أجل الكلمة. فالكثير من الشعراء العرب المعاصرين تقنعوا بالحلاج في دواوينهم. وعلى الرغم من تضاد الآراء التاريخية حوله نلاحظ أن له منزلة رفيعة عند الشعراء العرب كلهم وخاصة عند صلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي اللذين تقنعا به في قصيدتيهما "مأساة الحلاج" و"عذاب الحلاج". إذاً قمنا في هذا المقال-إضافة إلى دراسة مفهوم القناع وملاحمه في الشعر العربي المعاصر- بالمقارنة بين الشاعرين الأخيرين واستخرجنا بعض وجوه التشابه والتمايز بينهما بالإعتماد على المنهج التوصيفي- التحليلي.

الكلمات الرئيسية: القناع، التصوف، الحلاج، صلاح عبد الصبور، عبد الوهاب البياتي.

١. الأستاذة المساعدة بجامعة تربيت مدرس

٢. طالبة دكتوراه في فرع اللغة العربية بجامعة تربيت مدرس

المقدمة

القناع وسيلة فنية لجأ إليها الشعراء للتعبير عن تجاربهم بصورة غير مباشرة وهو تقنية مستحدثة في الشعر العربي المعاصر شاع استخدامه منذ ستينيات القرن العشرين بسبب تأثير الشعر الغربي وتقنياته المستحدثة، للتخفيف من حدة الغنائية والمباشرة في الشعر، وذلك للحديث من خلال شخصية تراثية، عن تجربة معاصرة، بضمير المتكلم. وهكذا يندمج في القصيدة صوتان: صوت الشاعر ب: صوت الشخصية.

هذا وقد توجه الشعر العربي المعاصر إلى التصوف، هارباً من الواقع المادي والإجتماعي والسياسي المأزوم باحثاً عن عالم أكثر روحانية وشفافية وصفاءً، تنحسر فيه قوة المادة أو تذوب. لأن التصوف عنصر هام من عناصر التجربة الشعرية المعاصرة، وذلك لارتباط التجربة الشعرية المعاصرة بالتجربة الصوفية، إذ أن هنالك علائق وشيجة، بين كلتا التجربتين الإبداعيتين: الصوفية والمعاصرة، حيث شكلت التجربة المعاصرة مجالاً ملائماً لمواقف الرفض والتضحية، كما فعلت التجربة الصوفية من قبل، لأن التجربة الصوفية الإنسانية عامة تهدف إلى تجاوز الأشياء الخارجية للوصول إلى جوهر الأشياء، أي إلى الحقيقة نفسها، وهو الهدف الذي تسعى إليه التجربة الشعرية المعاصرة.

ولعل الشاعر المعاصر قد وجد في مخنة الشاعر الصوفي قبله من معاناته واضطرابه ومكابدته، وبخه الدائب عن الحقيقة، وتأمله واغترابه ووحدته، وانتظاره للحظة الإلهام أو الكشف شيئاً من مخنة ذاته في معاناته ومكابدته واغترابه وتأمله في هذا الواقع.

ويعدُّ التراث منبعاً ثرياً. وتشكّل رموزه سيرورة التواصل الحضاري لأبناء الأمة، ولذلك تُعدُّ شخصياته الملاذ الرئيسي لعدد كبير من الشعراء المعاصرين، يستوحون دلائلها، ويتقمصون ذاتها قناعاً، فيحاولون من خلاله أن يثبوا أفكارهم وأمانهم، ويتجلى ذلك في أقنعة الشخصيات الأدبية،

والتاريخية، والدينية، والصوفية، والأسطورية... الخ، بل لعل الأقنعة جميعها مستمدة من التراث، إلا في القليل النادر الذي التفت فيه بعض الشعراء المعاصرين إلى بعض الشخصيات الوطنية أو الأدبية أو القومية أو الإنسانية المعاصرة، معبراً من خلالها عن معاناته التي هي معاناتها في الوقت نفسه. فحسين بن منصور الحلاج هو من الشخصيات التي اقتنع بها كثير من الشعراء العرب المعاصرين وقد صوروا من خلال هذا القناع مصائب الحلاج - خاصة صلبه - تصويراً حزيناً جداً. منهم أدونيس، و بدرشاكر السياب، وصلاح عبد الصبور، و عبد الوهاب البياتي - خاصة الأخيرين - وللوصول إلى هذه الغاية سنسلط الضوء في هذه المقالة على قناع الحلاج عند هؤلاء الشعراء وسنقوم فيها بالمقارنة بين صلاح عبد الصبور و عبد الوهاب البياتي وذلك من خلال المنهج التاريخي - التحليلي.

في بداية البحث وقبل الخوض فيه يجب علينا أن نوضح مفهوم القناع في الأدب العربي المعاصر ونشير إلى أنواعه (راجع: رستم پور، ٢٠٠٧، ص ٦٣). فالمصطلح شاب اللبس منذ ظهوره في أواخر الستينيات وكثيراً من النقاد العرب تطرقوا ودرسوا مفهوم القناع منهم: إحسان عباس، و عبد الوهاب البياتي، و صلاح عبد الصبور، و فاضل تامر، و جبرا إبراهيم جبرا، و جابر عصفور، و محيي الدين صبحي، و عبد الرحمن بسيسو، و محمد جليل شلش و خليل الموسى (بسيسو، ١٩٩٩، ص ١٠٨ و كندي، ٢٠٠٣، ص ٦٣ وما بعدها).

١ - القناع لغةً ومصطلحاً :

أ: (القناع) لغةً: هو ما تغطّي به المرأة رأسها من ثوب وغيره، كما جاء في لسان العرب (ابن منظور، ج ٨، ص ٢٩٧). وقد عُرف القناع عند العرب، حيث كان الممثل الهزلي (السماجة) الذي يقوم بمحاكاة حركات الناس وتقليد أصواتهم، يلبس قناعاً. وورد في الموسوعة البريطانية

وعلى الرغم من كثرة التعريفات للأسطورة، فإنها "كل ما ليس واقعياً، لا يصدقه العقل المعاصر". هي تدور حول حياة الأوثان التي تعتبرها آلهة، أو أنصاف آلهة، أو كائنات خرافية تقوم بأعمال خارقة وفي العصور الجاهلية عرف العرب تراثاً أسطورياً تمثل في الآلهة الوثنية: ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر... كما تمثل في أساطير زرقاء اليمامة، ونسور سليمان، وحياة الكاهنين: شقّ وسطيح. وقد استمد شعراؤنا المعاصرون الأساطير من مصدرين هما: الأساطير العربية، والأساطير الأجنبية (الإغريقية، والرومانية) (عزام، المصدر السابق وعشرى زايد ٢٠٠٢، ص ١٧٤).

ب: القناع الديني: التراث الديني مصدر غني من مصادر الإلهام الأدبي، استمد منه الأدباء موضوعاتهم ونماذجهم الأدبية. والأدب العالمي يحفل بالكثير من الأعمال الأدبية العظيمة التي تدور حول الدين، وقد كان الكتاب المقدس مصدراً للأدباء الأوربيين الذين استمدوا منه شخصياتهم ونماذجهم الأدبية، كما يعدّ القرآن الكريم بوصفه مصدراً هاماً من المصادر التي استمد منها الأدباء المسلمون موضوعاتهم وشخصياتهم في بعض أعمالهم الأدبية (عزام، المصدر نفسه وعشرى زايد، المصدر نفسه، ص ٧٥).

ج: القناع التاريخي: اتخذ شعراء الحداثة بعض الشخصيات التاريخية أفنعة تنأى بهم عن التدفق المباشر للمشاعر الذاتية وتخلق معادلاً موضوعياً يؤدي بالشاعر إلى إحكام السيطرة على موضوعه. وبالطبع فإن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق أفكاره والقضايا والهجوم التي يريد التعبير عنها (عشرى زايد، المصدر نفسه، ص ١٢٠). ومن هنا فإن تقنية (القناع) هي من أهم الإفادات التي أفادها الشعر العربي المعاصر، إذ أن الشاعر

أن القناع Mask يرتبط بمصطلح (الشخصية الدرامية). وأن الأصل اللاتيني للمصطلح هو Persona الذي كان يضعه الممثل على وجهه أثناء تمثيله (عزام، ٢٠٠٥، مجلة الموقف الأدبي و بسيسو، المصدر السابق، ص ٢٤).

ب: القناع مصطلحاً: كان القناع جزءاً من الطقوس الدينية البدائية التي تهدف عن طريق السحر إلى مواجهة الطبيعة. ثم استخدم في نوع من المسرحيات التي ازدهرت في بلاطات الملوك في عصر النهضة بأوروبا، حيث كانت الشخصية المسرحية تتقن وتتكبر وتشارك في موكب رمزي، وهي تنشد الأغاني أو تلقي الخطب، قبل أن يدخل عالم الشعر، فيستخدمه الشاعر لي طرح أفكاره ومشاعره من خلفه، ويجعله يتحدث بلسانه (كندي، المصدر السابق، ص ٦٥-٦٦). يقول جابر عصفور في تعريفه للقناع: "القناع يتخذه الشاعر المعاصر ليضفي على صوته نبرة موضوعية شبه محايدة، تنأى به عن التدفق المباشر للذات، دون أن يخفي الرمز المنظور الذي يحدد موقف الشاعر من عصره، وغالباً ما يتمثل رمز القناع في شخصية من الشخصيات تنطق القصيدة صوتها، وتقدمها تقديماً متميزاً، يكشف عالم هذه الشخصية، في مواقفها أو هواجسها أو علاقتها بغيرها، فتسيطر هذه الشخصية على (قصيدة القناع) وتحدث بضمير المتكلم، إلى درجة يخيل إلينا أننا نستمع إلى صوت الشخصية. ولكننا ندرك، شيئاً فشيئاً، أن الشخصية - في القصيدة - ليست سوى (قناع) ينطق الشاعر من خلاله، فيتجاوب صوت الشخصية المباشر مع صوت الشاعر الضمني تجاوباً يصل بنا إلى معنى القناع في القصيدة" (عصفور، ١٩٨١، ص ١٢٣).

٢- أنواع الأفنعة

أ: القناع الأسطوري: الأساطير نبع لا ينضب للأدباء في كل عصر، يجسّدون، بوساطتها، أفكارهم ومشاعرهم،

٣- قناع الحلاج (١) في الآداب الأخرى والشعر العربي

المعاصر

بداية الخمسينيات صار الحلاج رمزاً من رموز الأدب العالمي، فكتب في رثائه وتمجيدته كثير من الشعراء والأدباء. وفي تطور يثير الإهتمام يظهر الحلاج في شعر إيران وشبه القارة الهندية لفترة ما بعد العصر الوسيط بوصفه إنساناً رفض السكولاستية المتحجرة بسبب تجربة اتصاله المباشر بالله عز وجل وحبه الخالص له، مما أدى إلى قتله. ولكن أليس من الصحيح أنه عندما يرى الإنسان الحقيقة ويجدها، يكون مستعداً للموت في سبيلها؟ (زيدان، تجليات الحلاج).

وهذا يعني أن الشاهد الحقيقي لجلالة الله يجب أن يصبح شهيداً، وأن يدفع حياته ثمناً لأعلى تجربة وهي الإتصال بالحقيقة. وفي الأدب الأردني والتركي الحديث يصور الحلاج أحياناً ككائنات ضد المجتمع القائم، كما أنه يظهر كذلك في الشعر العربي المعاصر كممثل للأبعاد العميقة للإسلام، كمكافح من أجل العدالة والفهم (شيمل، ترجمة حشيشو، خطرات وأفكار عن الحلاج).

ومع ذلك فإنه يبدو أن الشاعر الباكستاني محمد إقبال لاهوري (١٨٧٣-١٩٨٣) أكثر إصابة للحقيقة من أغلب المحاولات الأخرى في فهمه لنواة حياة هذا المتصوف العاشق لله ومدى تأثيره. فقد اعترف بالحلاج الذي يحتفى به منذ عدة قرون في الشعر الشعبي الهندي الإسلامي كعاشق كبير لله وكمصلح إسلامي. وقد كانت قناعة إقبال ثابتة في أن "عالم القرآن" يفتح لكل إنسان وفي كل عصر بصورة جديدة، وأن الإسلام ليس ديناً متحجراً بعيداً عن الواقع، بل إن المفكرين والصوفيين الكبار قد تغلغلوا إلى طبقات بعيدة الأعماق من الفهم، بحيث يصبحون بذلك أمثلة عليا يقتدى بها الإنسان العصري أيضاً. وفي نظره كان

عندما يتقنع بشخصية تراثية، من أسطورية، أو دينية، أو تاريخية... ينطق من خلالها، ويجعلها تنطق بما يريد، ويقتضي ذلك منه موقفاً مشتركاً بين الشخصيات والشاعر، أي بين القناع والشاعر، وهذا يعني "خلق أسطورة تاريخية، لا تاريخاً حقيقياً. فهو تعبير عن التضايغ من التاريخ الحقيقي، يخلق بديل له (الأسطورة)، أو هو محاولة لخلق موقف درامي بعيد عن التحدث بضمير المتكلم" (عباس، ١٩٨٦، ص ١٥٥).

د: القناع الصوفي: جسدت الشخصيات الصوفية نوعاً خاصاً من الفكر والسلوك، وقد عرف شعراؤنا المعاصرون الصلة التي تربط تجربتهم الشعرية بتجربتهم الصوفية، التي تتبدى في تجاوز الواقع، وفي تحقيق الإتحاد بكل مظاهر الوجود. وقد كان شعر أدونيس مثلاً، تعبيراً عن هذا النزوع إلى الإتحاد بكل مظاهر الكون. وقد تقنّع بعض شعرائنا المعاصرين بقناع الشخصيات الصوفية منهم الصوفي الكبير منصور الحلاج (عزام، المصدر نفسه و عشري زايد المصدر السابق، ص ١٠٥).

إذاً صورة القناع تُعدُّ من أبرز الأدوات الشعرية المعاصرة في الأدب العربي و أجاد استخدامها - علي سبيل المثال- الشاعر الدكتور عبده بدوي في قسم من دواوينه، وبخاصة في دواوين: «دقات فوق الليل» و «الجرح الأخير» و «هجرة شاعر». كما استخدمها أيضاً الشاعر الناقد د. فوزي عيسى في ديوان «لغة بلون الماء»، والشاعران العراقيان: عبدالوهاب البياتي، و بدر شاكر السياب (دعيبس، عن الأفتحة والرموز في ديوان "الفارس والكهف"). والشاعر أمل دنقل في ديوانه «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة» و عبد الرزاق الواحد في قصيدة "الحراليحي (ابوهيف، ٢٠٠٤ ص ١٠١ و ٩٥) وغيرهم من الشعراء المعاصرين.

الزندقة، وحوكم على هذا الأساس، بالصلب، فقطعت أوصاله، وأحرق.

تتألف هذه المسرحية من جزأين، وتضمن خمسة مناظر، ففي الجزء الأول منها ثلاثة مناظر، وفي الثاني منظران، ويحمل الجزء الأول عنواناً هو (الكلمة) ويحمل الثاني عنواناً آخر وهو (الموت) وفي هذا التسلسل دلالة على أن الكلمة هي التي قادت قائلها إلى الموت، وعلى أن الموت كان نتيجة للكلمة، وعلى صلة الكلمة بالموت، فهما وجهان لحياة واحدة، وهي حياة (الحلاج) (محبك، ١٩٨٨، ص ٢٨٠).

وفي المنظر الأول من الفصل الأول يظهر (الحلاج) مصلوباً على جذع شجرة في ساحة عامة. والمنظر الثاني يشكل البداية الحقيقية للحدث حين نشاهد (الحلاج) في بيته ومعه (الشبلي) وعليهما خرقة الصوفية، إنهما يتجادلان فيما ينبغي أن يكون عليه الصوفي، ولكنهما يذهبان كل في طريق (المصدر نفسه، ص ٢٨١).

وفي المنظر الثالث يتطور الحدث، فيترنل (الحلاج) إلى الناس، يدعوهم إلى الله، ويستدرجه أحد رجال الشرطة إلى البوح بوجده، ثم يسوقه إلى السجن، بتهمة الكفر، وبذلك يكون الحلاج قد ألقى كلمته. وفي المنظر الأول من الجزء الثاني يظهر (الحلاج) في السجن مع اثنين من السجناء يحاورهما في الخير والشر، وينكر دعوة أحدهما إلى رفع السيف لإصلاح الواقع. وفي المنظر الثاني من الجزء الثاني، وهو الأخير في المسرحية، تجري محاكمة (الحلاج)، بحضور ثلاثة من القضاة (المصدر نفسه، ص ٢٨٢).

في المسرحية التي استلهم فيها صلاح عبد الصبور شخصية الحلاج أو بالأحرى: أعاد بعثه في الأدب المعاصر، مستحضراً إياه من خلف القرون.. يتجلى لنا الحلاج في صورة شديدة الخصوصية، ترجع خصوصيتها

الحلاج هو الذي فهم أعماق الوحي الإلهي بصورة أفضل مما فعل كبار الفقهاء ورجال الدين الذين يعجزون عن التحليق إلى الذرى الفكرية، كما يقول هذا المفكر الإسلامي الهندي بسخرية، لأن كلاً منهم يجثم "كقارون على المعاجم العربية"، أي أنه لا يستطيع التحليق بسبب عبء معارفه اللغوية الفقهية، بل يضغط ميتاً تحت الغبار، كما غرق قارون تحت عبء كنوزه. لقد كان الحلاج في نظر إقبال مناضلاً طليعياً في سبيل الإيمان الحى، وكان بهذه الصفة مثلاً أعلى للإنسان المعاصر (شيمل، المصدر نفسه).

ومن أبرز الأدباء العرب المهتمين بقناع الحلاج ومن السوريين علي أحمد سعيد (أدونيس) (٢) وعدنان مردم والعراقيون هم عبد الوهاب البياتي وجودت القزويني (٢) وبدر شاكر السياب (٣) والقاص اللبناني ميشال فريد غريب والمسرحي التونسي عز الدين المدني والشاعر المصري صلاح عبد الصبور وغيرهم ممن يصلح إنتاجهم موضوعاً لكتاب برأسه يدرس الظاهرة الحلاجية في الأدب العربي المعاصر.

د: قناع الحلاج في ديوان صلاح عبد الصبور (١٩٣٢-١٩٨١)

المسرحية الشعرية مسرحية وشعر في آن واحد كالقصة الشعرية ولصلاح عبد الصبور الشاعر المصري المعاصر مسرحية شعرية فريدة مسماة بـ "مأساة الحلاج" (عبد الصبور، الديوان، ١٩٨٨، ص ٤٤٩). تقوم هذه المسرحية على حادثة فذة فريدة، وهي استشهاد (الحلاج) الذي رفض لأن يجعل التصوف عزلة وحلاً فردياً خاصاً، فنزل إلى الناس وأخذ يدعوهم إلى الله، ليكونوا مثله أقوياء أعزة فاعلين، وألقى بكلمات تدل على اعتقاده بالحلول، وبوحدة الوجود، فاتهم بالكفر و

ويجتهد صلاح عبد الصبور في إثبات الصورة الإصلاحية - التي يتمناها هو - للحلاج ولكي تتأكد صورة المصلح الاجتماعي التي يتمازج فيها صلاح عبد الصبور مع الحلاج، ويتداخلان، كان لابد من إلباس الحلاج ثوباً سقراطياً يعكس مزاج صلاح عبد الصبور وصورة الشاعر / البطل، عنده .. فسقراط الذي أقبل على الموت راضياً، حتى تبقى الآراء الفلسفية التي ما فتأ يعبر عنها في سجنه الأخير - وهو ما عبر عنه أفلاطون، بروعة، في محاوره: فيدون - هو الذي يفرض نفسه على الصورة الحلاجية المتحلية على مرآة صلاح عبد الصبور (زيدان، المصدر السابق). يقول عبد الصبور على لسان الحلاج وذلك خلال حكمة بالغة:

- مثلي لا يحمل سيفاً.
لا أخشي حملَ السيف ولكني
أخشي أن أمشي به،
فالسيف إذا حملت مقبضه كفت عمياء
أصبح موتاً أعمى (عبد الصبور، المصدر السابق، ص ٥٤٤).

وقد سعى صلاح عبد الصبور في "مأساة الحلاج" إلى إظهار الطابع الاجتماعي لرسالة الحلاج، وأعطى تفسيراً دقيقاً لضرورة موته: إذ كان موته أمراً محتوماً - لكي يعود أتباعه فيجدوا كلماته في أثلام الحقول، حيث تكمن خفية عن العيون، لكي تحمل على الرياح، التي تهب فوق الأمواج - فما الذي كان سيحدث لرسائله المنادية بحرية الفكر، لو لم يمت مشنوقاً؟ (شيمل، المصدر السابق).

- المجموعة: قتلنا بالكلمات
أحبينا كلماته أكثر مما أحببناه

لصلاح عبد الصبور بأكثر مما ترجع للحلاج نفسه! فقد عاصر صلاح عبد الصبور زمناً مصرياً خاصاً، لا يخلو من مجد وقهر في الآن ذاته! زمناً كسّته السلطة السياسية بأردية متفاوتة الألوان، أشدّها وضوحاً لون الكبت (زيدان، المصدر السابق).

في زمن الكبت، يلجأ الأدباء دوماً للرمز والإستخفاء وراء منارات المحاز المراوغة، والقول عبر الآخر، والتصريح التخيلي بمكنون الذات .. وذلك ما فعله صلاح عبد الصبور حين كتب مأساة الحلاج التي هي في واقع الأمر تعبيراً عن أزمة صلاح عبد الصبور ومأساته الخاصة، أكثر من كونها تعبيراً عن الحلاج ذي التحليلات التي لا تنتهي. رأى صلاح عبد الصبور في الحلاج شاعراً يعاني أكثر مما يعانيه الآخرون:

الثاني: ماذا تعمل
الحلاج: أتأمل يا ولدي
الأول: شاعر؟
الحلاج: أحياناً (عبد الصبور، المصدر السابق، ص ٥٢٣).

لأنه كان يعتقد بشكلٍ خاص أن الخلاص قد يكون بالشعر والشعر هو طريق صلاح عبد الصبور، فليكن الحلاج - إذن - معادلاً للشاعر، ومعبراً عن صوته الشعري المضطر للتخفي. ولم يكن صلاح عبد الصبور بعيداً عن السلطة السياسية، ولم يكن راضياً عنها تمام الرضا .. وهي إشكالية دقيقة في طبقات نفسه، جعلته يرى في الحلاج وفق الصور التعريفية التي أوردتها في تذييل المسرحية - هو الذي عاد إلى بغداد لبعظ، ويتحدث عن مواجهه .. ييث الآراء الإصلاحية، ويتصل ببعض وجوه الدولة .. وهو: المجاهد الروحي العظيم (عبد الصبور، المصدر نفسه، ص ٦٠٦).

عند نفس الغاية. وهي العودة بالكون إلى صفائه وانسجامه بعد أن يخوض غمار التجربة.

كان عذاب الحلاج طرحاً لعذاب المفكرين في معظم المجتمعات الحديثة، وحيرتهم بين السيف والكلمة، بعد أن يرفضوا أن يكون خلاصهم الشخصي بإطراح مشكلات الكون والإنسان عن كواهلهم وكانت مسرحيتي مأساة الحلاج معبرة عن الإيمان العظيم الذي بقي لي نقيماً لا تشوبه شائبة، وهو الإيمان بالكلمة. (عبد الصبور، المصدر نفسه، ج٣، ص٢١٩-٢٢٠).

خلاصة القول أن عبد الصبور يرى أن الشاعر المثقف الذي يجيد الحكمة والشعر هو أقدر الناس على تخصيص الحياة وصنع المستقبل... فالشاعر هو رمز الخصب ورمز المستقبل. بل هو رمز الإنسان الأعلى أو (السوبر مان) الذي يستطيع بجهد وإصراره وقدرته على اختيار مصيره، ومواجهة هذا المصير بشجاعة حتى يصنع الحياة أو يصنع المستقبل (المصدر نفسه، ص٤٢٧).

٥: قناع الحلاج في ديوان عبد الوهاب البياتي (١٩٢٦-١٩٩٩)

تعد قصيدة "عذاب الحلاج" (١٩٦٤) أول قصيدة قناع ابتدعها البياتي ولهذا سنقف عند قناع الحلاج أولاً، والحلاج الذي قتل بسبب شطحاته الصوفية أو بسبب آرائه السياسية والاجتماعية، وهذان الجانبان، جانب الثورة وجانب الشهادة بسبب العشق الإلهي، هما الجانبان المثيران في شخصية وحياة الحلاج ومأساته (منصور، ١٩٩٩م، ص١٨٥). يقدمها البياتي مستعيناً بصوت "الحسين بن منصور" الشاعر والصوفي المعروف الذي مات مصلوباً، واتهم بالزندقة ليعبر البياتي من خلال تلك الشخصية،

فتركناه يموت لكي تبقى الكلمات (عبد الصبور، المصدر السابق، ص٤٥٥).

حلاج عبد الصبور حلاج آخر غير الذي حكى لنا عنه التاريخ. هو حلاج يحمل ملامح وأبعاد معاصرة، على الرغم أنه يبدو في ملامح المتصوفة ويتصف بصفاتهم. إن الحلاج هو فنان شاعر يلتزم بقضايا مجتمعه ويتخذ منها موقفاً واضحاً ومحددًا فيتكلم ويموت الحلاج حيث يطرح عبد الصبور من خلال عذابه عذاب المفكرين في معظم المجتمعات الحديثة (عبد الصبور، المصدر نفسه، ج٢، ص٦٠٧).

وحلاج عبد الصبور شاعر لأنه متصوف، إذ أنه يرى أن التجربة الفنية (الشعرية) والتجربة الصوفية تنبعان من منبع واحد، لذلك فإننا نسمع من الحلاج الشاعر أرق الكلمات والعبارات الصوفية الشاعرية (مراد محمد، ١٩٩٠م، ص١٠٧). ومثال ذلك قوله:

يا ولدي...

الحب الصادق

موت العاشق

حتى يحيا في المعشوق (عبد الصبور، المصدر السابق، ج٢، ص٤٨٦).

يقول عبد الصبور "...أما القضية التي تطرحها المسرحية فقد كانت قضية خلاصي الشخصي. فقد كنت أعاني حيرة مدمرة إزاء كثير من ظواهر عصرنا. وكانت الأسئلة تزدهم في خاطري ازدحاماً مضطرباً، وكنت أسأل نفسي السؤال الذي سأله الحلاج لنفسه: ماذا أفعل؟

وهنا ألفت المسرحية قضية دور الفنان في المجتمع وكانت إجابة الحلاج في أن يتكلم.... ويموت، فليس الحلاج عندي صوفياً فحسب، ولكنه شاعر أيضاً، والتجربة الصوفية، والتجربة الفنية تنبعان من منبع واحد وتلتقيان

غلب الأصل (البياتي) على القناع (الحلاج) وفي نهاية المقطع نرى هذا المهرج يأتي سائلاً عن أسطورة "أبو الهول"، ثم يمضي راوياً، كان يا ما كان. وفي المقطع الرابع وهو مشهد المحاكمة يبدو الحلاج ثورياً فحسب و يصرح في وجه السلطان وإذاً فالحلاج يدين نفسه أمام المحكمة بالإعتراف بأنه لا يرضى عن الظلم الاجتماعي والإستبداد السياسي، ويرفض الفقر والتعاسة، ويقف أمام قضائه وحيداً، كتب عليه الموت، الموت الذي هو خلاص له وللبنائين المستضعفين في الأرض لذلك كان المقطع التالي هو "الصلب" وفيه تبدو الحيرة على الحلاج، ويظهر الأصل (البياتي) مغطياً على القناع، فالحلاج يذكر قاطعي الطريق، والبرص والعميان والرقيق، ويشغله أمر الفقراء كما يشغله ما هو مقبل عليه من لقاء الله. ولكنه في النهاية يطلب هذا اللقاء (المصدر نفسه، ص ١٨٦).

وأخيراً يأتي المقطع السادس "رماد في الريح" وفيه إصرار على الثورة والإستمرار في الحياة برغم الموت والحرق وبرغم العذاب، والقتل، تبقى الحرية، وجذوة النار، في الأبد، ستنمو من سواد الحريق ومن الأوصال بذور تثبت منها الأشجار، أشجار الحرية والعدل والثورة على الظلم والإستبداد. في هذا المقطع يكمل الحلاج/البياتي تفصيلاً ما أشار إليه إشارة عابرة في المقطع السابق، إذ كان مشغولاً عن عذابه وآلامه بملاحقة مخاطبه، متشبثاً به من أجل التواصل والتوحد بذلك الوجود النوراني، الذي كرس حياته من أجله، ويبدو أن شدة لهفته قد صرفته عن مظاهر العذاب والآلام التي ألحقت به، فعاد يتابعها في هذا المشهد، ولعل في هذا ما يؤكد استمرار حياته حتى بعد صلبه وموته (المصدر نفسه، ص ٢٨٣).

ويعزى نجاح البياتي في توظيف شخصية الحلاج إلى القواسم المشتركة التي تجمع بين الشاعر والشخصية، وقد رآها البياتي واضحة جلية في لحظة شعورية ونفسية معينة :

ومواقفها في الماضي، عن أزمانه ومواقفه في الحاضر (كندی، المصدر السابق، ص ٢٥٩).

تشتمل قصيدة "عذاب الحلاج" على ستة مقاطع وقد بنيت على حوار من نوع خاص، لا يمكن اكتشافه للوهلة الأولى، وقد أوقع المتلقي في حيرة وتردد تجاه الصوت الذي انطلقت به القصيدة، بل إن "الإلتباس" فيه قد طال نقاداً ودارسين، فأوقعهم في تردد واضح، ودفعتهم إلى تبريرات وتصورات، ربما جانبها الصواب، وبخاصة ما تعلق منها بالمقطع الأول من القصيدة "المريد" (المصدر نفسه، ص ٣٧٢).

فيبدأ المقطع الأول "المريد" بصوتين يتداخل أحدهما في الآخر حتى نجد صعوبة في الفصل بينهما، ولا بد أن يكون صوت المريد شبيهاً بصوت البياتي، فهو لا يطمئن إلى هذا السكون البادي على الشيخ الصامت، وتستبد به الحيرة إزاء هذا الصمت، فيسأل عن الطريق، الذي يراد له أن يمضي فيه نحو الهدف المنشود:

من أين لي ونارهم في أبد الصّحراء
تراقصت وانطفأت

وها أنا أراك في ضراعة البكاء

في هيكل النور غريقاً تُكَلِّمُ المساء (البياتي، الديوان، ١٩٩٠م، ص ٩).

وتبدو حيرة المريد هنا بعد أن انهزم الثوار أو كادوا، فقد طاردهم السلطان وأبعدهم عن بغداد. وفي المقطع الثاني "رحلة حول الكلمات" في الليل ومن داخل السجن تظهر مواجيد الحلاج وابتهالاته التي يختلط فيها دمع الحب بدموع وآهات الثوري المنتكس، والمضروب عليه حصار السجن فيحيره ما وقع فيه، ويذكر حبه وعشقه (منصور، المصدر السابق، ص ١٨٥).

وفي المقطع الثالث "فسيفساء" لون من الهجاء السياسي، عن طريق السخرية من مهرج السلطان، وفي هذا المقطع

لقد قدم البياتي رؤية ثورية أراد أن يشتمها عن طريق قناع الحلاج في هذه القصيدة، وواضح أن التركيز فيها كان موجهاً نحو جانب الثورة والتمرد أكثر مما اتجه ناحية الشهادة والعشق والمواجيد، والفناء والحلول، وعلى العموم لم يكن البياتي بدعاً في رؤيته للحلاج، فقد اتفق معه في ذلك كثيرون ولا سيما ماسينيون الذي سبقه وكتب عن صحبة الحلاج "أنا الحق" يفسرها بأنها صرخة ثورة.. أشعلت نار ثورة الأتراك، فهي صحبة كونية (منصور، المصدر السابق، ص ١٨٨).

الحلاج بين عبد الصبور والبياتي

ويلفت النظر في بداية الأمر بعض التشابه بين قصيدة البياتي ومسرحية صلاح عبد الصبور "مأساة الحلاج". ففي المسرحية بدأ القسم الثاني بعنوان "الموت" في السجن، وفيه يلتقي الحلاج بسجينين، ويدور حوار بينهم حول العذاب الروحي، والفساد السياسي، والثورة، والحب الإلهي والمواجيد. والمنظر الثاني من هذا القسم تتم فيه المحاكمة وهذان المشهدان من المسرحية يقابلهما في القصيدة ثلاثة مقاطع هي (١-رحلة حول الكلمات ٢-فسيفساء ٣-المحاكمة) أما المقاطع الأولى والخامس والسادس، فيقابلهما في المسرحية الجزء الأول بعنوان "الكلمة" وفيه اللقاء مع المرید وفيه مشهد الصلب، وهو يحوي النهاية التي جعلها عبد الصبور في مشهد الصلب نفسه (وهو مشهد يظهر في بداية المسرحية) أما البياتي فقد جعل بعد الصلب حرقاً وتذرية للرماد في الريح. إذاً وعبردراسة القصيدتين وبقصد البحث عن أسباب القناع يمكن اعتبار بعض وجوه التشابه والتمايز بينهما:

١- العنوان:

جعل عبد الوهاب البياتي عنوان قصيدته عن الحلاج - وهي من أهم ما تناول حياة الحلاج من قصائد "عذاب

سقطت في العتمة والفراغ
تلطّخت روحك بالأصباغ
شربت من آبارهم
أصابك الدّوار
تلوّثت يداك بالحبر وبالغبار
وها أنا أراك عاكفاً على رماد هذي النار
صمّتك بيت العنكبوت، تاجك الصّبار (البياتي، المصدر السابق، ص ٩).

فالأسطر السابقة تحمل أوصافاً تصدق على الحلاج، وتصدق على البياتي أيضاً، فكل منهما يعاني قلقاً روحياً جراء تناقضه مع عصره، يجعله يعيش فيما يشه العتمة والفراغ، وقد تكالبت على كل منهما خطوب ورزايا، فالبياتي تلوث بالحبر والغبار، وأخذ يعالج ناراً لم يبق منها سوى الرماد، ولم يستطع الحلاج التزام الصمت، الذي هو من أبرز سمات المتصوفة وشاراتهم، فصار تاجه الشوك والصبار بدل الحكمة والمعرفة التي لأمثاله، وكان لذلك محلاً للوم والتأنيب (كندي، المصدر السابق، ص ٢٦٥).

ولعل البياتي قد وجد في تلك الشخصية الثائرة شيئاً من نفسه هو، فكلا الشاعرين الحلاج والبياتي تائر، الحلاج تائر في وجه السلطة التي اهتمته بالزندقة، والبياتي تائر في وجه السلطة الجائرة التي طاردته، وأخرجته من وطنه، وكلا الشاعرين عانى آلام الغربة والنفي والمطاردة، وكلاهما وقف مدافعاً عن حرية الكلمة وقداستها، ولعل المشهد الآتي، الذي يصور أحداث محاكمة الحلاج، والذي يستحضره البياتي مقتبساً فيه بعض كلام الحلاج نفسه، يؤكد دفاع الحلاج المستميت، عن المبادئ والقيم، وعن الكلمة التي بدأت تفقد قيمتها في هذا العصر (حلي، المصدر السابق).

الحلاج" وهو يكاد يكون ترجمة حرفية للعنوان الذي اختاره ماسينيون لكتابه passion d-al Hallj هذا العنوان الذي يهدف إلى التوحيد بين محنة الحلاج، ومحنة السيد المسيح في الموروث المسيحي (عشري زايد، المصدر السابق، ص ١١٢).

أما مسرحية "مأساة الحلاج" لصالح عبد الصبور فإن الشاعر يعترف صراحة تأثره بمقال ماسينيون عن "المنحنى الشخصي لحياة الحلاج" ثم بكتاب أخبار الحلاج الذي حققه ماسينيون (أنظر تذييل مسرحية "مأساة الحلاج" ص ٦٠٦).

٢- استعارة ملامح المسيح للحلاج:

هذا وقد يستعير البياتي بعض ملامح المسيح للحلاج، فهو حين يصور مطاردة قوى البغي له ولأفكاره يستغل ملمحاً من ملامح المسيح، وهو العشاء الأخير الذي تناوله المسيح مع تلاميذه قبل القبض عليه (عشري زايد، المصدر السابق، ص ١١٣). فيقول في المقطع الذي عنوانه بالصلب بعد أن يتحدث عما فعله القضاة والشهود والسياف به:

منل أين لي أن أعبر الضفاف؟

والنار أصبحت رماداً هامداً .. من أين لي يا مغلق

الأبواب

والعقم واليباب

مائدتي .. عشائي الأخير في وليمة الحياة (البياتي، المصدر

السابق، ص ١٢).

وهو أخيراً يعطى حادث صلب الحلاج نفس الدلالة التي أخذها صلب المسيح في الشعر المعاصر، وهي البعث من خلال الموت، وميلاد الحياة الجديدة من أشلائه (عشري زايد، المصدر السابق، ص ١١١):

أوصالٌ جسمي أصبحتُ سماء

في غابة الرّماد

ستكبر الغابة يا معانقي

وعاشقي

ستكبر الأشجار (البياتي، المصدر السابق، ص ١٢).

ونحن نرى الملمحين السابقين كليهما شديدي الوضوح من خلال مسرحية عبد الصبور، فمحاولة اسقاط ملامح مسيحية على الحلاج ملموسة في أكثر من موضع من المسرحية، فهو حين يتحدث إلى الجماهير يستخدم معجماً قريباً من معجم المسيح في مواعظه " (عشري زا يد، المصدر السابق، ص ١١٣):

إليّ يا غرباء ... يا فقراء يا مرضى

كسيري القلب والأعضاء قد أنزلت مائدتي

.. إليّ .. إليّ

لنطعم كسرة من خبز مولانا وسيدنا

إليّ .. إليّ .. أهديكم إلى ربّي وما يرضى به ربي (عبد

الصبور، المصدر السابق، ص ٤٩٧).

وهو في موضع آخر يسوق حواراً بين الحلاج وأحد السجناء يضي الحلاج على نفسه فيه بعض ملامح المسيح، وهي قدرته على إحياء "الأرواح الموتى" بالكلمات كما كان المسيح يحيى الأحياء، حيث يسأله المسجون:

أمسيحٌ ثان أنت؟

فيجيب الحلاج:

لا . . لم أدرك شأوَ ابن العذراء

لم أعطَ تصرّفه في الأجساد

أو قدرته في بعث الأشلء

فقنعتُ بإحياء الأرواح الموتى

فيعلق المسجون ساخراً:

ما أهون ما تقنّع به

فيقول الحلاج:

لم تفهم عني يا ولدي كلماته (المصدر نفسه، ص ٥٣٥).

فلكي تحيي جسداً حز رتبة عيسى أو معجزته
أما كي تحيي الروح فيكفي أن تملك
٣- استخدام عبد الصبور أقوال و أفكار و آراء الحلاج
الصوفية من خلال مسرحيته:
فالحلاج - كما يصوره عبد الصبور يؤمن بدور لا بد أن
يلعبه الصوفي على المستوى الإنساني والسياسي، فيقول
لرفيقه الشبلي والذي يختلف معه كثيراً:
لم يختار الرحمنُ شخصاً من خلقه
ليفرقَ فيهم أقباساً من نوره
هذا.. ليكونوا ميزانَ الكون المعتل
ويفيضوا نوراً لله على فقراءِ القلب (المصدر نفسه،
ص ٤٦٨).

ويذهب الحلاج بعيداً في نقاشه مع الشبلي الذي لا يفتأ
يذكره بأهمية اعتزال الصوفي للعالم والناس وبآداب الخرقه
الصوفية التي يرتديها... فيرد الحلاج:

تعني هذه الخرقه
إن كانت قيدا في أطرافي
يلقبني في بيتي جنب الجدران الصماءِ
حتى لا يسمع أحبائي كلماتي
فأنا أجفوها.. أخلعُها يا شيخ
إن كانت إشارة ذلٌّ ومهانة
رمزاً يفضحُ أنا جمعنا فقر الروح إلى فقرِ المال
فأنا أجفوها.. أخلعُها يا شيخ (المصدر نفسه، ص ٤٨٨).
ومن أقواله الصوفية والتي تهدف وراءه تعليم الموعظ
عبر عبارات تتسم بسمة الغموض أحياناً والوضوح أخرى:
فإن تصفُّ قلوبُ الناس تأنسُ نظرة الرحمن
إلى مراتنا ويدم نظرتة فتحيننا
وإن تكدر قلوب الناس يصرف وجهه عنا
ويهجُرنا ويجفونا

وماذا يفعل الإنسان إذا جفاه مولاه؟
يضيقُ الكون في عينيه
يفقد ألفةَ الأشياء
ويضحى البدرُ دائرة مهمشهة رمادية
من القصد يرميته و ملقاة على البيداء
فقد جفت عيونُ الناس وأصبحت نقطة سوداء
وتذوي أذرعُ الأشجار تلقي حملها للأرض
وتدفنه كمجهضة تدفن عارها في الطين
ويمشي القحطُ في الأسواق يجلب جزية الأنفاس
من الأطفال والمرضى
حقيقية بلا قاع فلا تملأ إذ تعطي
وخلف القحط يمشي تحت ظلَّ البيرق المرسل ... جنود
القحط جيشُ الشر والنقمة (المصدر السابق، ص ٥٠٠
و ٥٠١).
ويختم حديثه بكلام قريب مما يتداول على ألسن
الصوفيين وكلام الحلاج:
وربِّي قصده القلب
ولا يرضى بغير الحبِّ
تأمل: إن عشقتَ ألسنت تبغي أن تكون شبيهة محبوبك
فهذا حبنا لله
أليس الله نور الكون
فكن نوراً كمثل الله
ليستجلي على مراتنا حسنه (المصدر السابق، ص ٥٠٢).
٤- وهكذا البياتي إذ استفاد من مفردات وعبارات
كثيرة تحمل دلالات وملامح صوفية: منها: "أنت في بداية
إنتها"، "طرقت بابي"، "في الحضرة تستجلي"، و"الفقراء".
٥- استخدم كل من الشاعرين عنصر الحوار وخاصة
في مسرحية عبد الصبور، لكن في قصيدة البياتي يوجد
الغموض الشديدة حول المتكلم خاصة في المقطع الأول:

الخاتمة:

تطرق كثير من الأدباء والشعراء في الشعر العربي المعاصر إلى القناع وقناع شخصية الحلاج خاصة. تعد شخصية الحسين بن منصور الحلاج من الشخصيات الأكثر جدلاً. فقد اختلفت آراء القدماء فيه، كما انقسم المتأخرون ما بين مؤيد له ومعارض، ويعود السبب في ذلك إلى الإختلاف في فهم عقيدته وتأويل أشعاره وأقواله. رغم هذا التضارب، دراسة قناع الحلاج في الأدب العربي المعاصر ترينا بأنه شخصية ذو وجهة إيجابية في رؤية الشعراء العرب المعاصرين، بحيث هو في أكثر أشعارهم يمثل رمزاً للحرية والخلاص والكفاح ضد المستبدين وفي كل حالة هو رمز للمتقف المظلوم الذي لا يفهمه المجتمع.

وقد رسم كل من صلاح عبد الصبور وعبد الوهاب البياتي أماننا صورة حزينة لحياة الحلاج وصلبه بقلبيهم الحزين، وهذه الصور في الحقيقة صورة لحياة هؤلاء الشعراء بأنفسهم ومايعاني المجتمع من الإضطهاد والجور والفساد وترينا هذه المقارنة التي قمنا بها بين القصيدتين للشاعرين -عبد الصبور والبياتي- بعض وجوه التشابه والتمايز منها فيما يلي:

- عنوان القصيدة، استعارة ملامح المسيح للحلاج، استخدام عبد الصبور أقوال، أفكار وآراء الحلاج الصوفية من خلال مسرحيته، وهكذا البياتي استفاد مفردات وعبارات كثيرة تحمل دلالات وملامح صوفية. استخدام كلا الشاعرين عنصر الحوار وخاصة في مسرحية عبد الصبور، لكن في قصيدة البياتي يوجد الغموض الشديدة حول المتكلم. بيان مظاهر الظلم والفساد الإجتماعي ومنها الفكري في كلتا القصيدتين، وأخيراً بيان أهمية الكلمة في القصيدتين كليهما.

سقطت في العتمة والفراغ
تلطخت روحك بالأصباغ
شربت من آبارهم
أصابك الدوار
تلوثت يداك بالحبر وبالغبار
وها أنا أراك عاكفاً على رماد هذي النار
صمتك بيت العنكبوت، تاجك الصبار (البياتي، المصدر السابق، ص ٩).

٦- بيان مظاهر الظلم والفساد الإجتماعي ومنها الفكري في كلتا القصيدتين منها:

ما أوحش الليل إذا ما إنطفأ المصباحُ
وأكلت خبز الجياح الكادحين زمرُ الذئاب
وصائدو الذباب (المصدر السابق، ص ١١).

والشبلي: ماذا تعنى بالشر؟
الحلاج: فقر الفقراء، جوع الجوعى،
في أعينهم تتوهج ألفاظ، لأوقنُ معناها (عبد الصبور، المصدر السابق، ص ٤٦٩).

٧- بيان أهمية الكلمة في القصيدتين كليهما:

الحلاج: لا يعنيني أن يرعو ودى أو ينسوه
يعنيني أن يرعوا كلماتي (المصدر السابق، ص ٤٧٩).

الثاني: وبما تحيي الأرواح...؟
الحلاج: بالكلمات (المصدر السابق، ص ٥٣٦).

وإندفع القضاة والشهود والسياف
فأحرقوا لساني (البياتي، المصدر السابق، ص ١٧).
وفي الواقع وأخيراً: قُتل الحلاج من أجل الكلمة
وبالكلمة:

المجموعة: قتلناه بالكلمات (عبد الصبور، المصدر السابق، ص ٤٥٣).

الهوامش

عجبية عن علاقته بالارواح وما شابه. أمر قاضي القضاة باعادة محاكمته وأصدر حكماً بإقامة الحد عليه، وقد وقع (٨٤) شاهداً على قرار الحكم!!! فصلب في ٢٣ ذي الحجة من العام ٣٠٩ للهجرة والمصادف ٢٦ مارس من العام ٩٢٢ ميلادي (الحلاج، ٢٠٠٢، ص٥-١٥ و راجع أيضاً: كحالة، ٤/ص٦٣ وابن خلكان، ١٩٧٧، ص١٤٠).

٢- ديوان أدونيس، مراثية الحلاج، ج١، ص٤٢٦-٤٢٧. إن الحلاج في هذه القصيدة وبناء على رأى أدونيس يعتبر كأسوة للمفكرين والفنانين وهو يسعى للحرية لأنه يريد الخلاص من الإستعباد دائماً. الحلاج في رأيه هو ثائر ومتمرد ضد الإستبداد في كل الأيام و يظهر في كل الأمكنة حتى تشتعل نيران الثورة ضد الإستبداد. إذاً الحلاج برأى أدونيس هو رمز الحرية والكفاح (الضواوى، ١٣٨٤هـ.ش. ص٧٦).

٣- جودت القزويني شاعر عراقي عاصر جيل الستينيات، وقدم نتاجه الشعري في السبعينيات، وصدر له ديوانان، أولهما: قصائد الزمن القديم، وقد قال عنه الناقد المصري الدكتور علي عشري زايد إن « الأبعاد الشعورية لرؤية الشاعر في هذه المجموعة كثيرة ومتنوعة، وإن كان يغلب في مجملها الحس الحزين، وقد تنوعت اللغة بتنوع هذه الأبعاد، فهي تارة تفخم وتجزل حتى تحس القاريء بأنه أمام واحد من الأجيال الأولى في تاريخ الشعر العربي وتارة ترق وتشف حتى تكاد تذوب عذوبة». والثاني «أشعار مقاتلة» ويعمد فيه الشاعر إلى توظيف الشخصية التراثية، بحيث تعبر عن الملامح الفكرية التي يسعى إلى التعبير عنها. جودت القزويني يعي أن الحلاج ثائر ومتمرد ضد ضبابية الوعي والسعي نحو نور اليقين، ويعي أيضاً تمرده ضد

١- رغم تداخل الروايات وتضارب بعضها بعضاً، إلا أن معظمها تتفق بأن الحلاج ولد حوالي عام ٨٥٨ ميلادياً في إحدى القرى القريبة من إقليم فارس، وترعرع في (تستار) أو (واسط)، وأن لقب (الحلاج) جاءه من مهنة أبيه، رغم أن هناك رواية صوفية عن (حلاج الأسرار)، لكن ما هو ثابت أيضاً أنه تتلمذ علي يد المتصوف الكبير (سهل التستري) الذي توفي عام ٨٩٦ ميلادياً والذي يُعدُّ من المؤسسين الأوائل للتصوف الإسلامي، والذي أثر في الحلاج بشدة، بحيث ان الكثير من تعاليمه نجدها في كتاب (الطواسين) للحلاج. غير أن السلطة المركزية آنذاك نظرت إليه بريبة، وتخوفت من رحلته إلى وادي الهند كثيراً، وخمنت أنه يقيم علاقات سرية مع الحركات الدينية المعارضة للسلطة المركزية، والتي كانت منتشرة في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية، وأن الحلاج يغطي أهدافه السياسية بتعاليم دينية غامضة. وحينما عاد إلى بغداد بعد رحلته هذه، بدأت الرسائل تصله من البلدان التي زارها، ومن الطبيعي أن هذه الحفاوة والتقدير، وهذه المكانة الروحية للحلاج قد تركت ردود فعل سلبية لدى بقية الرجال الصوفية. لكن المشكلة كانت آنذاك مع السلطة، حيث كانت بغداد تعيش حالة من التوتر والاضطراب مما دفعها للتخوف من رجل الحلاج، فزجت به في السجن وعند المحاكمة الأولى عومل برفق، لتدخل أم الخليفة، فنقل من سجن إلى سجن، لكن بعد سبع سنوات، وفي ٩١٩ ميلادياً، وإذ تدهورت الاوضاع في بغداد، وبلغ إلى أسمع السلطة أن الحلاج أمسى، رغم سجنه، أشد قوة حيث أخذ الناس يتحدثون عن كراماته الجليلة، ويتناقلون حكايات

- عبد الصبور، صلاح، ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.
- القزويني، جودت، المجموعة الشعرية الأولى، ط١، قاهره، ١٩٩٨.

ب: المراجع ١- الكتب

- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، دار صادر، ١٩٧٧.
- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، لا تا.
- أبو هيف، عبدالله، قناع المتنبي في الشعر العربي الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
- بسيسو، عبد الرحمن، قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٩.
- الضاوي، أحمد عرفات، ترجمة سيد حسين سيدي، توظيف التراث في الشعر العربي المعاصر، جامعة فردوسي مشهد، الطبعة ١، ١٣٨٤ هـ.ش.
- عباس، إحسان، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٦ م.
- عشرى زايد، علي، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دارغريب، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت، دار احياء التراث العربي، لا تا.
- كندي، محمد علي، الرموز القناع في الشعر العربي الحديث (السياب، نازك والبياتي)، دارالكتاب الجديد، ط١، بيروت، ٢٠٠٣ م.

السجون: سجون الغربية، وسجون الضياع، ولذلك اتخذ من الحلاج قناعاً يتحدث فيه عن تجربته الخاصة ومعاناته في واقع مليء بالمآسي، وقد أسعفه الحلاج في تأدية وظيفته هذه لثراء في شخصيته ومواقفه وشاعريته. إن هناك تماثلاً بين الشاعر والحلاج، كلاهما متمرد، وكلاهما شاعر، هذا يفني في سجون غربة الحاضر، وذلك قد عانى من سجون الغربة فأفنى ذاته في انعتاق من الجسد، (الوائلي، فناء في سجون الغربة) وجودت القزويني (المجموعة الشعرية الأولى، ط١، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٩٥).

٤- هناك من الشعراء من يستعمل (ابن حلاج)، وهو تحريف للحلاج (٨٥٨م - ٩٣٢م) (مواسي، إشارات ورموز عربية للسياب)، إذ يقول:
ويا عهد كنا كابن حلاج واحد مع الله إن ضاع
الورى فهو ضائع (بدرشاكر السياب، المجموعة الكاملة، ج١، ص ٣٥٤).

المصادر و المراجع

أ: المصادر

- أدونيس، الأعمال الشعرية الكاملة، بيروت، دار العودة، ط٤، ١٩٨٥.
- البياتي، عبد الوهاب، ديوان عبد الوهاب البياتي، المجلد الثاني، بيروت، دار العودة، الطبعة الرابعة، ١٩٩٠.
- الحلاج (حسين بن منصور)، ديوان الحلاج، قدمه محمد باسل عيون السود، بيروت، دارالكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٢.
- السياب، بدر شاكر، ديوان بدر شاكر السياب، المجلد الأول، دار العودة، بيروت، ١٩٨٩.

- محبك، أحمد زياد، المسرحية التاريخية في المسرح العربي المعاصر، دارطلاس، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٨.
- مراد محمد، نعيمة، المسرح الشعري عند صلاح عبد الصبور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٠.
- منصور، إبراهيم محمد، الشعر والتصوف (الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر)، الطبعة الأولى، دار الأمين، القاهرة، ١٩٩٩.
- ٢- المقالات**
- حلبي أحمد طعمة، التناس الصوفي في شعر البياتي
www.islamic-sufism.com/article.php?id=1403
- دعيبس، سعد، عن الأفتنة والرموز في ديوان «الفارس والكهف»
www.smartwebonline.com/NewCulture/content/017600060001.asp
- رستم پور، رقيه، قناع امرىءالقيس في شعرعزالدين المناصرة، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية، العدد ٧، ٢٠٠٧ م.
- زيدان، يوسف، تجليات الحلاج
ournormandy.com/forum/showthread.php?t=6737www.
- شيمل، أنه ماري، ترجمة محمد علي حشيشو، خطرات وأفكار عن الحلاج
www.ibn-rushd.org/forum/Hallagar.
- عزّام، محمد، قصيدة القناع في الشعر السوري المعاصر، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق - العدد ٤١٢، ٢٠٠٥.
- www.awu-dam.org/mokifadaby/412/mokf412-007
- عصفور جابر، أفتنة الشعر المعاصر: مهيار الدمشقي، الفصول، مجلد ١، ٤٤، ١٩٨١.
- مواسي، فاروق، إشارات ورموز عربية للسياب
www.doroob.com/?p=10137
- الوائلي، كريم، فناء في سجون الغربة قراءة نقدية لقصيدة للشاعر جودت القزويني
www.mnaabr.com/vb/showthread.php?t=6639

نقاب حلاج در شعر معاصر عربی (با تأکید بر اشعار صلاح عبدالصبور و عبدالوهاب بیاتی)

کبری روشنفکر^۱، سیده اکرم رخشنده‌نیا^۲

تاریخ دریافت: ۱۳۸۷/۶/۶

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۸/۶/۲۳

قناع (نقاب) از دهه ۶۰ قرن بیستم، به عنوان ابزار و وسیله در شعر معاصر عربی مورد استفاده شاعران مختلف قرار گرفته است. شاعران معاصر عرب از ورای نقاب شخصیت‌های دینی، تاریخی، متصوفه و اسطوره‌ای در حقیقت از زبان آن شخصیت‌ها از خود و محیط پیرامون خود سخن می‌گویند.

حلاج در میان شخصیت‌های ایرانی از جمله کسانی است که بسیاری از شاعران معاصر عرب در پشت نقاب وی حرف‌های خود را به گوش دیگران رساندند.

حلاج در دیوان شاعران مختلف رمز و نماد آزادی، مبارزه و شهید راه کلمه و سخن است، بنابراین بسیاری از شاعران معاصر عرب در دیوان‌های خود، نقاب حلاج را بر چهره خود قرار دادند و با وجود اختلاف نظرات فراوان پیرامون او، وی از جایگاهی رفیع در میان شاعران معاصر عرب برخوردار است که در این میان صلاح عبدالصبور در قصیده "مأساة الحلاج" و عبدالوهاب البیاتی در "عذاب الحلاج" بسیار برجسته تر به نظر می‌آیند.

بنابراین در این مقاله با استفاده از شیوه توصیفی - تحلیلی به مقایسه قصیده این دو شاعر پرداخته و جنبه‌های تفاوت و شباهت آن را مورد تجزیه و تحلیل قرار می‌دهیم.

واژگان کلیدی: نقاب، تصوف، حلاج، صلاح عبدالصبور، عبد الوهاب البیاتی

۱. استادیار دانشگاه تربیت مدرس

۲. دانشجوی دوره دکتری گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه تربیت مدرس